Coptology

ⲥⲁⲛⲱⲩ ⲛ̀ⲣⲉⲙⲛ̀ⲭⲏⲙⲓ

حوارات في تدبير المبتدئين

(٨)

التجرد والقنية

دكتور

جورج حبيب بباوي

٢٠١٦

www.coptology.org

قال: الإنسان دون أن يدري، يبحثُ عن شيءٍ يُضاف إليه لكي يعطي معنى لحياته ووجوده، فيصبح اعتماد الإنسان على عوامل وممتلكات خارجية، بمثابة السلسلة التي تستعبد الإنسان.

وعندما سألت عن أمثلةٍ لِما ذكر، قال: المال – الصيت – المركز الاجتماعي، بل وتراكم المعرفة بأشكالها، هذه كلها تعطي للإنسان الإحساس المطلق بالوجود. هل تذكر الشاب الغني الذي أراد الحياة الأبدية، وسأل الرب ماذا يصنع لكي يرث الحياة الأبدية؟ السؤال نفسه غلط؛ لأن الحياة الأبدية لا يرثها الإنسان بالسعي إليها. هي عطيةٌ من الله بسبب صلاح الله. ولما قال له الرب: احفظ الوصايا، قال: هذه حفظتها منذ حداثتي، ولكن لما سمع: اذهب بع كل مالك وتعال اتبعني، والرب كان يقصد عِش كما أعيش أنا للآب وصلاحه ومحبته؛ حَزِنَ الشابُ الغني؛ لأنه كان "ذو أموال كثيرة". كل من يرى أن لديه شيئاً ما مهما كان قليلاً أو كثيراً، وأن حياته في هذا الشيء، هو غريبٌ عن الله تماماً وعن صلاحه. ولذلك، حَرِصَ الآباءُ على تجرُّد الراهب تماماً من كل شيء بما فيها الاسم نفسه؛ لارتباط الاسم بالحياة الجديدة، ولكن تغيير الاسم لا يفيد إلا عند مَن طلب الحياة من الرب نفسه. قد تقرأ عن هذا الذي كان له ثوبٌ واحد، أو تجرَّد حتى من ملابسه، مثل أبا نفر، وكان لا يأكل إلا القليل جداً. هؤلاء أرادوا مصدر الحياة الحقيقية، وهو الرب يسوع نفسه.

وصَمَتَ، ثم قال: الذين يعملون في المجتمع مثل الأطباء والمهندسين والمدرسين وغيرهم، هؤلاء لهم صراعٌ أعنف بكثير من صراع الذين في الأديرة. هل تعرف السبب؟

فقلت: له لا.

قال: السبب هو أن الحياة الاجتماعية فيها التزامات وواجبات لا يمكن الهرب منها. ولكن على هؤلاء أن يفهموا ما هو أعمق وأهم، وهو الوعي الحقيقي غير المزيَّف بالحياة الحقيقية. هل تعرف ما هي الحياة الحقيقية؟ قلت له: أريد أن أعرف.

فقال: هي المسيح يسوع كله بما فيه من تعليم، وحياة، ومعجزات، وحَبَل وولادة، ومعمودية، وصراع مع الشيطان، والصلب والدفن والقيامة والصعود، ثم حلول وسُكنى الرب فينا في القلب، وهو جالس على عرش مجده يترك هذا المجد لكي يسكن في كياننا الهزيل الخاطئ الميِّت لكي يعطي له الحياة. ما هي مصادر الحياة عندك؟

فقلت له: يوجد مصدر واحد.

قال: جيد، أرجو أن تكون إجابتك هي كل الحق، وليست إجابة تُرضي بها شخصي. ثم أضاف: مصدر الحياة يصبح هو الحياة. تماماً مثل النعمة، تصبح هي حياتنا نفسها. **النعمةُ ليست شيئاً، بل هي ما يُعطى.** وما يُعطى من الرب يسوع بالروح القدس، يبقى فينا إلى الأبد. لم نعُد نسمع عن أبدية النعمة. مثل التبني ومثل سكنى الروح القدس. **عندما قال رسول الرب إن عطية وهِبة الله "بلا ندامة"، أي بلا تراجع، فقد أكَّد على أنها ثابتة باقية أبدية، رغم ضعف الإنسان.**

سألت: إذن، ما هو التعليم الخاص بنا نحن غير الرهبان عن التجرد؟

قال: سهل. أقصد أن الكلام سهلٌ، ولكن التعليم يحتاج إلى إفراز تام:

١- كل شيء ترى أنه أساسي في حياتك غير المسيح، تخلَّى عنه بحرية، أو بتغصبٍ إذا استدعى الأمر، حتى لا يصبح مركز اهتمامك بنفسك.

٢- لا تبحث عن ملابس جديدة إلا إذا كنت تحتاج إليها فعلاً، وسلِّم النقود لَمن هو محتاج.

٣- لا ترد على الشتائم لأنك إذا شتمت، فأنت تدافع عن نفسك، والدفاع عن النفس يجب أن يكون من أجل الرب لا من أجل كرامة أو صيت.

٤- حدِّد لنفسك الدائرة الخاصة بالحياة الاجتماعية الضرورية، وأترك ما هو غير ضروري. افعل هذا بمحبة، وبغير خوف، وبحرية، وليس تحت ضغوط.

كان الحديث كافياً. فقد سمعنا جرس الغروب.

يتبع ،،،

د. جورج حبيب بباوي